Role of Najm Al_Din Ayyub in Preparing Salah Al_Din for the establishment of The Ayyubid State in Egypt

Dr.Wafaa Jouni [*]
Nisreen Hmaidoush [**]

(Received 2 / 8 / 2023. Accepted 18 / 10 / 2023)

□ ABSTRACT □

This research deals with the stages that the Ayyubid state went through since the departure of Najm al-Din Ayyub and Asad al_Din Shirkuh from Tikrit, their arrival to Al_Mosul and their meeting with its owner Imad al_Din Zinki and what resulted out of this meeting in the growth of the idea of independence in their thoughts which crystallized after their arrival to Damascus and their entry into the service of Nour Al_Din Mahmoud. The research talked specifically about how Najm Al-Din Ayyub was satisfied and accepted the participant of his son in his uncle Shirkuh's three campaigns , which required dicussing the facilities provided by Shirkuh and the support that Salah Al_Din received from his father and auncle and his going to Egypt in addition to taking over the Ministry, waiting for the appropriate time to announce the establishment of their state in public .This matter led to the empowerment of Salah Al-Din in Egypt and the establishment of the state according to Strong foundation, so they can announce the Ayyubid state in Egypt by the hands of Salah Al-Din and annex Damascus to it after a short time.

Keywords: Najm al-Din Ayyub, Asad al_Din Shirkuh , Salah ad-Din, Egypt, Ayyubid state

Copyright **:**Tishreen University journal-Syria, The authors retain the copyright under a CC BY-NC-SA 04

[*] **Associate Professor. Department of History, faculty of arts humanities, Tishreen University, Lattakia, Syria**
[**] **Postgraduate Student, Department of History, faculty of arts humanities, Tishreen University, Lattakia ,Syria**

دورُ نجم الدين أيوب في تهيئة صلاح الدين لقيام الدولة الأيوبية في مصر

د. وفاء جوني*

نسرين حميدوش**

(تاريخ الإيداع 2 / 8 / 2023. قبل للنشر في 18 / 10 / 2023)

□ ملخّص □

عالج البحث المراحل التي مرتّ بها الدولة الأيوبية منذ خروج نجم الدين أيوب وأسد الدين شيركوه من تكريت، ووصولهما إلى الموصل ولقائهما بصاحبها عماد الدين زنكي، وما أثمر عليهما هذا اللقاء من نموّ فكرة الاستقلال في فكرهما، والتي تبلورت بعد وصولهما إلى الشام ودخولهما في خدمة نور الدين محمود، فقد تحدث البحث بشكل خاص عن كيفية رضا وقبول نجم الدين أيوب عن مشاركة ولده في حملات عمه شركوه الثلاث، ممّا تطلب مناقشة التسهيلاتِ التي قدّمها شيركوه والدعم الذي حظي به صلاح الدين من جانب والده وعمّه وذهابه لمصر إضافةً لتسلمه الوزارة منتظراً الوقتَ المناسبَ للإعلان عن قيام دولتهم بشكل علنيّ؛ هذا الأمرُ الذي أدّى إلى تمكين صلاح الدين في مصر، وإرساء قواعد قيام الدّولة وفق مقوّمات قويّة، ليتحقق لهم بعد ذلك إعلان الدولة الأيوبية في مصرَ على يد صلاح الدين، وضمّ الشام إليها بعد مرور وقتٍ قصير.

الكلمات المفتاحيّة: نجم الدين أيوب، أسد الدين شيركوه، صلاح الدين، مصر، الدولة الأيوبية.

حقوق النشر : مجلة جامعة تشرين- سورية، يحتفظ المؤلفون بحقوق النشر بموجب الترخيص CC BY-NC-SA 04

* **أستاذ، قسم التاريخ ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة تشرين، اللاذقية، سورية.**

** **طالبة ماجستير ـ قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة تشرين، اللاذقية، سورية.**

مقدّمة:

ينتسب الأيوبيين إلى الأكراد الروادية من بلدة دوين في آخر عمل أذربيجان من جهة آران وبلاد الكراج بالقرب من تفليس، وهم بطن من قبائل الهذبانية وتعدّ قبيلتُهم من أشرف القبائل الكردية، ويعدّ أوّل ظهور للأيوبيين على مسرح الأحداث السياسيّة العربيّة بعد وصول شادي بن مروان مصطحباً ولديه نجم الدين أيوب* وأسد الدين شيركوه* لمدينة تكريت العراقية عن طريق صديقه مجاهد الدين بهروز متولي شحنكية بغداد وما حولها، وشاءتِ الأقدارُ أنّ الأخير سلم دزدارية* تكريت لشادي بن مروان لكنه لم يمضِ وقت كثير على تسلمه تكريت حتى توفّي شادي، فرأى بهروز أنه من الصواب تسليم تكريت لابنه الأكبر نجم الدين أيوب لِمَا له من حسن الرّأي والعقل ومعه أخوه أسد الدين شيركوه، وبدأ يعلو شأن الأيوبيين، ودخلوا الأحداث السياسية كأمر واقع، وبعدها لجأ إليهما عماد الدين زنكي حاكم الموصل سنه (526هـ/1131م) بعد هزيمته أمام الخليفة العباسي المسترشد بالله فاستقبلوه وأكرموه وأحسنوا إليه، وقدموا له السفن لعبور نهر دجلة.

لكن أمر الأيوبيين لم يستمر بالسكينة نفسها التي تنعّموا بها منذ قدومهم لتكريت، وحدث أمر طارئ أخرجهم منها، وهو أن شيركوه قتل مملوكاً لبهروز في تكريت بسبب تعرضه لأمرأه تكريتيه شكته إلى أسد الدين، فطلب منهم بهروز الخروجَ من تكريت فرحلوا عنها إلى الموصل حيث عماد الدين زنكي الذي أحسن استقبالهم وأنعم عليهم بإقطاعات كثيرة وقربهما منه وعندما فتح مدينة بعلبك جعل نجم الدين دزدار عليها، وبعد مقتل عماد الدين زنكي سنه(541هـ/1146م) انتقل نجم الدين وأخوه إلى اقطاعاتهم في دمشق التي بذلها لهم صاحبها آنذاك مجير الدين أبق(ت526هـ/1132م) مقابل التّنازل له عن بعلبك.

*** أبو الشكر نجم الدين أيوب الابن الأكبر لشادي بن مروان الملقب بالأفضل نجم الدين ولد 1173م كان من أكراد بلدة دوين عرف بشخصيته السياسية والعسكرية تعلم منذ صغره على محبة الفقراء كان ورعا حسن السيرة صادقا فاضلا تسلم تكريت بعد وفاة أبيه شادي بن مروان ثم اتصل بخدمة عماد الدين الزنكي ومن بعدة خدم ابنه نور الدين محمود التي سلمه قصره وجعله صاحب الأذن فيه وحظي بمرتبه رفيعة عنده وكان لقبه والدة الملوك على اعتبار اغلب أولاده أصبحوا ملوك ، أبو بكر ابن عبدالله بن آيبك الدواداري، كنز الدرر وجامع الغرر الدر المطلوب في أخبار بني أيوب، تح سعيد عبد الفتاح عاشور، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة،ج7، 1972ص7 ، حيث عرف عنه حب الناس له لحسن سيرنه وكثرة صلاحه مائلا للخير وحسن السياسة وبنى له خانقاه بدمشق يعرف بالنجمية وخانقاه بمصر وبعلبك، بدر الدين محمود العيني (ت855هـ/1451)، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، تح محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتب، القاهرة ج1992،4م ، ص129**

*** أسد الدين شيركوه: ولد في أرمينيا سنه (500هـ/1169م) وهو أسد الدين شيركوه بن شادي بن مروان أبو الحارث الملقب بالملك المنصور ولفظ شبركوه فارسي الأصل معناه أسد الجبل فشير تعني أسد وكوة تعني جبل نشأه في تكريت والتحق بخدمة عماد الدين زنكي ومن بعده بخدمة نور الدين محمود وعرف عنه بشخصيته العسكرية وأول من ولىّ مصر من الأيوبيين وهو أخو نجم الدين أيوب وعم صلاح الدين الأيوبي أرسله نور الدين على رأس جيش إلى مصر سنه (558هـ/1163م) وأصبح وزير الخليفة العاضد سنه (564هـ/1169م). أبو القاسم شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي المعروف أبو شامة (ت599. 665هـ)، الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تح إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط1، ج1، 2002، ص111، أبو العباس شمس الدين أحمد ابن أحمد ابن خلكان (608. 681هـ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ج2، 1968، ص479.**

*** دزدارية: ويعني حافظ القلعة وهو منصب إداري سلمه بهروز لنجم الدين أيوب. ابن تغري بردي(جمال الدين أبي المحاسن يوسف ت874.813)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تح محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ج6،ط1، 1992، ص4**

ولا بدّ من الإشارة إلى الدّور الذي قام به الأيوبيون بمساعدة نور الدين محمود عندما تسلّم حكم حلب بعد موت أبيه، وبعد ذلك سعى لضمّ دمشق لإقطاعاته وكان للأخوين الأيوبيين دور كبير في ضم دمشق لأملاك نور الدين، ولا سيما أنّ نجم الدين حظي بمكانه مرموقة، وثقة السّلطان حيث أصبح من أكابر الأمراء النورية وتولّى أمر دمشق بعد فتحها سنه (549هـ/1154م) وجعل أسد الدين قائد جيشه الذي ساعده في حروبه ضد الفرنج، ويبدو أن مساعدتهم لنور الدين كانت تخفي في جوانبها رغبات ونوايا الأمراء الأيوبيين في الاستقلال عن الدولة الزنكية عندما تكون الفرصة مواتيةً ويزر ذلك في العديد من المواقف التي أشارت إلى وجود طموح سياسي للأيوبيين منها محاولة شيركوه أكثر من مره استغلال مرض نور الدين زنكي عند سماعه بتدهور حالته الصحية لولا تدخُّلُ أخيه نجم الدين محاولاً تنفيذَ رغبته في الخروج من إطار الدولة الزنكية، وكانت تحبط في كل مرة يتماثل نور الدين للشفاء.

وظلّ حلم تكوين ملك خاص بالأيوبيين قائماً في فكر نجم الدين وشيركوه حتى أتتِ الفرصةُ المناسبة لتحقيق هذا الحلم على أرض الواقع من خلال البلاد المصرية عندما ألمّت ظروف صعبة بالخلافة الفاطمية، وبدأت المنازعات بين الوزراء على الوزارة وعندها بدأت سلسلة الاستنجاد بنور الدين في دمشق، ورأى نور الدين إرسال قواته طمعاً في ضم مصرَ إلى أملاكة و لذلك سيّر الأخير عدة حملات إلى مصرَ بقيادة أسد الدين شيركوه وابن أخيه صلاح الدين الأيّوبي، أوّلها كان في سنة(559هـ/1163م) سببها استنجاد الوزير شاور بنور الدين ضد غريمه ضرغام الذي نازعه على الوزارة وجلب الفرنج على مصر، وثانيها سنه (562هـ/1166م) وسببها محاربة الفرنج وطردهم من مصر، وثالثها سنه(564هـ/1168م) وسببها استنجاد الخليفة الفاطمي العاضد بنور الدين ضد وزيره شاور والفرنج معاً.

عدّ الأيوبيّون هذه الحملاتِ نقطة الارتكاز الحاسمة تجاه تحقيق الطموح الأيوبي، لأنّ الأمور لم تجرِ كما أرادها نور الدين، إنما تغيرت المعطيات بعد وصول أسد الدين إلى مصر حيث إن بذور الرغبة في الاستقلال عن الدولة الزنكية بدأت بالتشكّل الفعلي بتفكير شيركوه عندما علم أحوال أهلها ومقدرات جيشها وتضاريسها، ولم تخفَ رغبة الأيوبيين عن نور الدين؛ فحاول إفشال ذلك من خلال قبوله لعرض شاور الذي تخوف من قوة أسد الدين فعرض على نور الدين سنه(563هـ/1167م) أن يبعدَ أمر شيركوه عن الديار المصرية فشتت أمره بإعطائه حمص وسائر أعمالها مقابل مال يحمله إليه شاور من كل سنه.

لكن ما إن حلت سنة (564هـ/ 1168م) حتى دخل شيركوه مصر بحملته الثالثة واستطاع دحر الفرنج وقتل شاور ليتولى منصب الوزارة الفاطمية في مصر، فخلع الخليفة العاضد عليه الخلع السلطانية، فساعده ذلك على الاستئثار بحكم البلاد المصرية بمعزل عن بلاد الشام الخاضعة للحكم الزنكي، وفوّض ابن أخيه صلاح الدين بشؤون الوزارة لتتجلّى مشاعر القلق في قلب نور الدين بعد تمكّن الأيوبيون من الحكم في مصر، إلا أنّ وفاة أسد الدين المفاجئة سنة (564هـ/ 1168م) جعلت الخليفة الفاطمي يختارُ صلاح الدين ليخلف عمه في الوزارة.

ولكن ما إن توفي السّلطان نور الدين سنه 569هـ/1173م حتى تشكلت الانطلاقة الأولى لقيام الدولة الأيوبية في مصر بشكل علنيّ، وخرج المشروع الأيوبي إلى التنفيذ لإنشاء وتكوين الدولة الخاصة المستقلة بحكمها عن الزنكيين في الشام، وساهم صلاح الدين وجميع أمراء الأسرة الأيوبية وعلى رأسهم نجم الدين أيوب في إعداد المشروع الأيوبي الاستقلالي وتحقيق حلمهم من خلال بلورته على الأراضي المصرية، لتصبح مقاليدُ الأمور بيد صلاح الدين الأيوبي وفي الوقت التي سيطر فيه الأمراء الشاميون على الحكم ضعف أمر البلاد ليتسنّى لصلاح الدين بعد ذلك ضمّ بلاد الشام إلى دولته الجديدة.

أهميّة البحث وأهدافه:

تأتي أهمية البحث لتوضيح جوانبَ مهمّةٍ من التاريخ الأيوبي، وذلك من خلال إبراز دور أهمّ القادة الأيوبيين والمؤسسين لقيام الدولة الأيوبية، وهم نجم الدين أيوب وأخوه أسد الدين شيركوه، وولده صلاح الدين يوسف، وبيان مدى محاولة أيوب المتكررة في دعم ولدة بعد أن وصل للسلطة سنه564هـ/1169م الذي هدف من وراء ذلك معرفته لقواعد الحكم وأصوله، وبالتالي تمكينه من إرساء قواعدِ حكْمِه في مصرَ ليظهروا في الوقت المناسب إعلانهم قيام الدولة الأيوبية المستقلة في جوهرها، وسيادتها عن الدولة الزنكية.

منهجيّة البحث:

يعتمد البحث المنهجَ التحليليّ للأحداث المعتمد على جمع المعلومات واستقصائها، بغية الوصول إلى الحقيقة لاستنتاج آراءٍ جديدة، وعليه يفيد هذا الموضوع ومدى تأثيره على مجريات الأحداث.

أولاً: موافقته على مشاركة صلاح الدين في حملات عمه أسد الدين شيركوه على مصر.

يعد نور الدين محمود *من أهم السلاطين الذين حكموا دمشق* خلال الفترة الممتدة من (549 .569هـ/1154.1174م)، وتمّ له حكمها بمساعدة القادة الأيوبيين الذين بزر منهم في هذه المرحلة نحم الدين

*** نور الدين محمود زنكي: أبو القاسم بن الأتابك قسيم الدولة أبي سعيد عماد الدين زنكي ينتمي إلى قبيلة ساب يو التركية ولد نور الدين سنه (511 هـ .5689هـ/ 1118. 1174م) في حلب في كنف والده ونشأ على الخير والصلاح وكان واسع الملك بشكل كبير وخُطب له بالحرمين واليمن عندما ملكها تورانشاه بن أيوب وكذلك كان يخطب له في مصر وملك الشام وديار الجزيرة اشتهر بعدله وحسن سيرته كان زاهدا كثير العبادة والصلاة في الليل والنهار عارفا بالفقه على مذهب أبي حنيفة وليس له فيه تعصب وهو الذي بنى أسوار مدن الشام منها الشام وحلب وحمص وحماه وشيرز وبعلبك وغيرها عندما كانت تتهدم بالزلازل وبني الكثير من المدارس منها الحنفية والشافعية وقبل وفاته كان نور الدين يتحضر لدخول مصر من صفاته الجسدية كان أسمر اللون طويل القامة ليس له لحية إلا في حنكه حسن الصورة واسع الجبهة وتوفي في عمر 58سنه وكانت سلطنته ثماني وعشرين سنه وسته أشهر المؤيد عماد الدين إسماعيل بن علي المعروف أبي الفدا (672.732هـ، 1273.1331م) المختصر في أخبار البشر، تح محمد زينهم محمد عزب، ج3، ص72، وهو أول من بنى من الملوك دار للعدل في دمشق وسماها دار الكشف عندما بلغه تعدي نواب أسد الدين شيركوه للرعية وظلمهم للناس، تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي المقريزي (ت 845هـ)، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والأثار المعروف بالخطط المقريزية ، تح محمد زينهم . مديحة الشرقاوي، مكتلة مدبولي دار الأمين، القاهرة،1998، ج2، ص208، محمد سالم بن نصر الله بن سالم ابن واصل(ت 604.697هـ)، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تح جمال الدين الشيال، حسنين محمد ربيع، سعيد عبد الفتاح عاشور، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ج1، 1957، ص268، عز الدين أبو الحسن على بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الجزري الشيباني ابن الأثير (ت555.630هـ/1160.1232م)، التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية بالموصل، تح عبد القادر طليمات، دار الكتب الحديثة، القاهرة، 1963 ص168، بدر الدين محمود العيني(ت855هـ . 1451م) عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان "العصر الأيوبي"، تح محمود رزق محمود، دار الكتب والوثائق القومية ، القاهرة، ج1، ط2، 2010، ص155، جمال الدين محمد ين سالم بن نصر الله بن سالم بن واصل(ت 604.697هـ)، التاريخ الصالحي سيرة النبي(ص) والانبياء عليهم السلام والخلفاء والملوك وغيرهم يؤرخ من بدء الخلق حتى سنه 636هـ ، تح عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية، بيروت، ج2، ط1، 2010، ص216، فايد حماد محمد عاشور، الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين في العصر الأيوبي، دار الاعتصام، القاهرة، ط1، 1983م، ص43**

*** دِمَشق: هي ببلدة مشهورة قصبة الشام وهي جنة الأرض بلا خلاف لحسن عمارة ونضارة بقعه وكثرة مياهها، ومن خصائص دمشق كثرة الأنهار بها وجريان الماء في قنواتها. شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي(ت626هـ)، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ج2، 1997، ص463**

أيوب وأسد الدين شيركوه الذين تسلموا إقطاعات مهمّة في دمشق لقاء خروجهم السلمي من بعلبك[1] بعد أن طلب منهم صاحب دمشق آنذاك مجير الدين أبق بن تاج الملوك بوري* (ت 526هـ/1132) ذلك، فحصل بينهما وبين نور الدين تقاربٌ واتصالٌ بعد وفاة عماد الدين زنكي[2] فاعتمدا عليهما في سيطرته على دمشق سنه (549هـ /1154م)[3] بعدما وثق نور الدين بأسد الدين شيركوه أمره في مكاتبة أخيه نحم الدين الموجود آنذاك في دمشق لمساعدته بالسيطرة عليها وكانت دمشق آنذاك تحت حكم الدولة البورية[4]، وسلمه قيادة جيشه لما كان

يملكه من شجاعة وقوة لا يبالي مخافة أحد فيها[5]، وشاءت الأقدار أن تحيط بالخلافة الفاطمية ظروفٌ قاسية من خلال هجمات الفرنج المتكررة واستبداد الوزراء في شؤون الوزارة وتحكمهم بالخلافة والخليفة، ومنازعات الوزراء فيما بينهم الطامعين بمنصب الوزارة وعليه نذكر ما حدث بين الوزيرين ضرغام بن عامر بن سوار الملقب أبي الأشبال* وشاور بن مجير السعدي*من نزاعات كبيرة حول الوزارة استدعى تدخل أطراف معادية لمصر بين الفريقين.

---

[1] بعلبك. مدينة لبنانية، تقع في قلب سهل البقاع، الذي اشتهر بغناه ووفرة محاصيله الزراعية، لَمتداد أراضيه وغزارة مياه نهر الليطاني التي تروي أراضيه. الحموي، معجم البلدان، مصدر سابق، ج2، ص269

*** مجير الدين أبق: والده تاج الملوك محمد بن بوري بن طغتكين، ولد ببعلبك وقدم إلى دمشق مع والده محمد وعند وفاة أبيه تولى شؤون دمشق سنه(534هـ/1139م) وكان صغير السن فتولى أمره مملوك جده طغتكين أنر بن عبد الله والملقب بمعين الدين وعند وفاة الأخير أطلقت يده في دمشق وحاصرها عماد الدين زنكي عدة مرات واستطاع ابنه نور الدين فتحها وأرسل أبق إلى حمص وبعد فترة أخذها منه وعوضه عنها ببالس ناحية الفرات لكن أبق لم يرض ورحل عنها إلى بغداد وبقي فيها حتى وفاته .علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر(499 . 571 هـ) ، تاريخ دمشق، تح عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر، دمشق، ج7، 1995ص299، أبي عبدالله شمس الدين محمد بن أحمد ين عثمان بن قايماز الذهبي (ت748.673)، سير أعلام النبلاء ج20، تح حسان عبد المنان، بيت الأفكار الدولية، 2004، ص365**

[2] عماد الدبن زنكي: يعد والده أول ملوك الدولة الأتابكية في الموصل، توفى والده وهو صغير السن، ولاه السلطان محمود السلجوقي على إمارة حلب وسلمه ولديه ألب أرسلان وفروخ شاه لتربيتهما ولقبه باتابك وهي لفظ يطلق على مربي أولاد الملوك فتمكن من طرد الصليبيين منها ومن حماه واستطاع تحرير إماره الرها التي تعتبر من أول الإمارات الصليبية في الشرق وأمنعها قتله بعض مماليكه غيلة إثناء حصاره لقلعة جعبر على نهر الفرات ودفن لصفين. ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، مصدر سابق ج2، ص327، أبو شامة، الروضتين، مصدر سابق، ج1، ص9

[3] تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي بن عبد القادر العبيدي المقريزي (ت845هـ)، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، تح محمد حلمي محمد أحمد، مؤسسة الأهرام، القاهرة، ج3، 1996، ص306، ابن الأثير، التاريخ الباهر، مصدر سابق، ص120، أبي الفدا، المختصر في أخبار البشر، مصدر سابق، ج3، ص28

[4] الدولة البورية: هم فرع من الدولة السلجوقية مؤسسها ظهير الدين طغتكين بوري قضى عليه نور الذين محمود سنه (549هـ/1154م) أمينة بيطار، تاريخ العصر الأيوبي، دار الفكر العربي، القاهرة، ص66

[5] ابن القلانسي (ت555هـ/ 1160م) حمزة بن أسد بن علي بن محمد، تاريخ دمشق، تح سهيل ذكار، دار حسان، دمشق، 1983م، ص489، ابن واصل، مفرج الكروب، مصدر سابق، ج1، ص10، تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي بن عبد القادر العبيدي المقريزي (ت845هـ)، السلوك لمعرفة دول الملوك، تح عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ج1، ط1، 1997 ص148، ابن الأثير، الباهر، مصدر سابق، ص107، صلاح الدين والصليبيون تاريخ الدولة الأيوبية، ص78،

*** ضرغام بن عامر بن سوار الملقب أبو الأشبال: كان من أبرز رجال الوزير الفاطمي طلائع بن رزيك جعله مقدما بين الأمراء البرقية تدرج بمناصبه حتى وصل وأصبح صاحب الباب، وبعد موت الوزير الصالح طلائع بن رزيك تنازع مع شاور صاحب الصعيد على الوزارة وانتصر عليه بعد أن استنجد بالفرنج فجلب له شاور القوات النورية الشامية بقيادة أسد الدين شيركوه بعد أن استنجد بنور الدين محمود ليتم قتل ضرغام عند قبر السيدة نفسية بن الحسن ابن زيد بن الحسن بن علي في سنه 559هـ وبقي يومين ثم مات وحمل ليتم دفنه في القرافة عند بركة الفيل بعد أن استمر في الوزارة لمدة تسعة أشهر، ابن واصل، مفرج الكروب، مصدر سابق، ج1، ص139، أبي محمد عبدالله بن**

وبعد أن احتدم الصدام بين الوزيرين المذكورين واستنجاد ضرغام بالفرنج ليستقوي بهم على شاور وإخراجه من الوزارة وأمام هذا العجز لم يبق أمام شاور إلا الانتقالُ إلى الشام والاستنجاد بنور الدين محمود صاحب دمشق ليقاتل معه ضرغام ويعيده إلى الوزارة مقابل المال؛ فاختار لهذه المَهمّة الشاقة قائد جيشه الأيوبيّ أسد الدين شيركوه لقدرته القتالية وشخصيته العسكرية في تنفيذ هذه المهمة[6]، وهنا بدأت الخطوة الأولى للأيوبيين في التّفكير الجدي بالاستقلال عن الدولة الزنكية*. وسير نور الدين شيركوه وشاور ومعهم الكثير من المال والسلاح والرجال لدحر ضرغام ومن ورائه الفرنج، لكن شيركوه اختار ابن أخية صلاح الدين يوسف للذهاب معه إلى مصر إلا أن الأخير لم يرغب بما أراده عمه الذي أشار على نور الدين محمود لإقناعه في العدول عن رأيه والسير معهم إلى مصر لقدرته القتالية وضمان ضم مصر للدولة الزنكية، فسار صلاح الدين على كره منه، فحضر الحملاتِ الثلاثَ التي قادها عمّه على مصر "فأحب نور الدين مسير صلاح الدين وفيه ذهاب بيته وكره صلاح الدين المسير وفيه سعادته وملكه".[7]وعبّر صلاح الدين عن عدم رغبته بالمسير لمصر لقوله "كنت أكره الناس في الخروج في هذه الواقعة وما خرجت مع عمي باختياري"[8].

ولم يذكر أحد من المؤرخين معارضة نجم الدين لرأي شيركوه أو على إلحاح نور الدين في إرسال ابنه إلى مصر وهو لم يتجاوز آنذاك السّادسة والعشرين سنة رغم بعد المسافة عن الشام وقلة خبرته الميدانية العسكرية والسياسية ليتبين لاحقاً أنّ أيوب كان بنفسه موافقاً على مسير ولده ليحقق رغبة الأيّوبيين في الاستقلال عن الدولة الزنكية بتأسيس ملك خاص بهم وتكوين ولده للخبرات العسكرية والسياسية على أرض الواقع، ويتعلم برفقة عمه قواعد الحروب وشجاعتها.

واتصف نجم الدين بصفات طيبة منها حسن الأخلاق حليماً وحكيماً، وله من الخبرة السياسية والإداريّة ما يفوق أيّ قائدٍ لذلك كان محترماً مقدماً لدى نور الدين يتمتّع بالكثير من الامتيازات دون غيره وكان يرى صلاح الدين خيرَ قائد للدولة

أسعد بن علي بن سلمان اليافعي اليمنى المكي(ت 768هـ)، مرآه الجنان وعبرة اليقظان، تح خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، ج3، 1997، ص238، احمد الشامي، صلاح الدين والصليبيون تاريخ الدولة الأيوبية، مكتبة النهضة، القاهرة، ط1، 1991، ص61، الشرق الأدنى في العصور الوسطى الأيوبيون، السيد الباز العريني، ص32، حسن حبشي، نور الدين والصليبيون، دار الفكر العربي، بعداد، 1948م، ص106

[6] مرعي بن يوسف الكرمي المقدسي المصري الحنبلي (ت1033هـ)، نزهة الناظرين في تاريخ من ولى مصر من الخلفاء والسلاطين، ت عبد الله محمد الكندري، دار النوادر، الكويت، ط1، 2012، ص106، ابن خلكان، وفيات الأعيان، مصدر سابق، ج2، ص444، ابن واصل، مفرج الكروب، مصدر سابق، ج1، ص137، ابن شداد أبو المحاسن بهاء الدين يوسف ت(632هـ/1234م)، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، مطبعة الأداب والمؤيد، مصر، 1317، ص28، وفاء محمد علي، قيام الدولة الأيوبية في مصر والشام، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1987، ص22

*** الدولة الزنكية: كان الظهور الأول لأفراد الأسرة الزنكية على الساحة السياسية من خلال آق سنقر والد عماد الدين زنكي الذي بدأ حياته مملوكا للسلطان السلجوقي ملكشاه الذي أطلق عليه لقب قسيم الدولة وساعد الأخير السلطان ملكشاه في القضاء عبى دولة العقيليين في الموصل وحلب الذين عملوا لصالح الحمدانيين فكافئه السلطان بولاية حلب سنه 478هـ/1085م، فحكمها سبع سنوات فأحسن فيها السيرة مع أهل حلب فاستطاع أن يوطد حكمه فيها متخذا منها قاعدة لتوسيع حدود سلطته فضم إليه كل من حمص وأفاميه لكنه توفى نتيجة اضطراب الأوضاع بين أفراد البيت السلجوقي سنه 487هـ/1094م ، أبو شامه ، الروضتين، مصدر سابق، ج1، ص26. عز الدين أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الجزري الشيباني ابن الأثير(ت630هـ)، الكامل في التاريخ، تح أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، عمان، ج10، ص149.150، الدواداري، كنز الدرر، مصدر سابق، ج6، ص501**

المقريزي، اتعاظ الحنفا، مصدر سابق، ج3، ص294.295، ابن الأثير، الباهر، مصدر سابق، ص139، حسن حبشي، نور الدين والصليبيون، مرجع سابق، ص127

[8] ابن شداد، النوادر السلطانية، مصدر سابق، ص79، ابن واصل، مفرج الكروب، مصدر سابق، ج1، ص160

الأيوبية، فشجعه وحدثه بما ينفعه قبل ذهابه لمصر لا سيما وأنه رأى مناماً*خلال تواجده في تكريت وقد ذكر الملك الكامل محمد أن جده نجم الدين أيوب قد قص رؤيته لأحد المعبرين، فأظهر العجب لذلك، وأخبر نجم الدين أن هذه الرؤية لا تكون إلا لملك، وقال له: "سيكون من نسلك أيها الرجل ملوك بعدد تلك النجوم، ويكون منهم ملك عظيم يظهر على الفرنج ويطهر بيت المقدس من أرجاسهم، ثم يكون مدة تمليك تلك الملوك بعدد تلك الأبقار سنين، ثم يخرج عليهم الفرنج– وهم الخنازير–فيظهرون عليهم، حتى يخرج من جهة مصر جيش كالسباع، فيكون هلاك الخنازير على أيديهم، فهذا تأويل رؤياك، والله أعلم.[9]

وتم بالفعل لنجم الدين ما أراد وفسر منامه، وأصبح حقيقة على أرض الواقع ليصار الملك لأبنائه فيما بعد حتى أنه كان من بين ألقابه أبو الملوك إشارة إلى أن أغلب أولاده حظوا بالملك، وكان أشهرُهم عبر التاريخ صلاحَ الدين الأيوبيّ، ولربما أراد نجم الدين استخدام الأحلام، والرؤى كدعاية سياسية لتنفيذ ما كان يرنو إليه.

وفي مقابل ذلك وكما ذكرنا كان نجم الدين أيوب رجل لديه الكثير من المعرفة الإدارية للدولة، ولم يقم يوما بعمل دون أن يكون له أثر مفيد لاحقا على بني قومه، فعندما تسلم مدينة بعلبك وأقام فيها، أراد أن يكون للأيوبيين ما يخلد ذكرهم ويرسخ وجودهم فيها، وبدأ العمل بما عرف عنه من صفات حسنه، فكان رجل مباركاً كثير الصلاح مائلاً للخير حيث بنى خانقاه للصوفية واسماها "النجمية "[10]ولم يكتفِ بذلك بل أنه استثمر فترة وجوده بمصر باستمرار تخليد ذكر الأيوبيين وذلك من خلال بنائه مسجد في ظاهر باب النصر وجعل إلى جانبه حوض ماء للسبيل ترده الدواب سنة 566هـ/1171م[11]، ويدلنا ذلك على أن نجم الدين كان لديه بُعد سياسي ونظرة استراتيجية يعمل وفقها من خلال عمارته الدينية التي اشتغل عليها كي لا يكن مرورهم عابرا في الأراضي الإسلامية وهم الذي يسعون لإقامة دولة مستقلة فيها.

ثانياً: تمكين نجم الدين لصلاح الدين ودعمه على قيادة السلطة في مصر بعد وفاة شيركوه.

لا بد من الإشارة أنه في الوقت الذي كان به نجم الدين أيوب يستعد للخروج من تكريت ولد ابنه صلاح الدين (532هـ /1138م) فتشاءم نجم الدين من ذلك لما سيرتب عليه من أعباء إضافية في هذه الليلة العصيبة فتقدم كاتبه آنذاك وهو نصرانيّ وحدثه ألا يتشاءم مما خصّه به الله تعالى من النعم وأن لا ذنب للطفل مما يجرى معك ولربما من يدري يكون الملك على يده ويصبح من السلاطين العظام وكان يدرك نجم الدين آنذاك أن السلطة ستكون يوماً ما في بيته وكان عليه ترتيب أموره لما كان يراوده من أحلام تفيد بذلك.[12]

*** كأنّه قعد للبول، فعادت إراقته تطلع في إحليله كالفوارة إلى أن تعلقت بالسحاب، ثم انعقدت سحابة، وكأنها على بيت المقدس، ثم مطرت تلك السحابة مطراً عاماً غسلت القدس مع سائر تلك الأرض، ثم ظهر في تلك السحابة قمرٌ مع نجوم كثيرة حتى أضاءت الأرض كلّها من نوره، ثم أنبتت تلك الأراضي أنواع الحشائش، وكان في تلك الأراضي أبقار ترعى، ثم ظهرت من جهة البحر المالح خنازير حتى ملأت تلك الأرض، ثم ظهرت من جهة مصر أسود كالبخاتى فقتلوا جميع تلك الخنازير، حتى لم يبق منهم إلا من هرب؛ وقطع البحر. كنز الدرر، الدواداري، مصدر سابق، ج7، ص9**

[9] كنز الدرر، الدواداري، مصدر سابق، ج7، ص10

[10] ابن خلكان، وفيات الأعيان، مصدر سابق، ج1، ص257

[11] المقريزي، الخطط المقريزية، مصدر سابق، ج2،ص563

[12] البدر العيني، عقد الجمان، مصدر سابق، ص127،128

وعندها لجأ مع أخيه أسد الدين شيركوه إلى عماد الدين زنكي في الموصل* فلم ينس الأخير خدمتهما إليه بعد خسارته أمام الخليفة العباسي آنذاك المسترشد بالله عندما فرّ هارباً باتجاه تكريت فأقامَ أيّوب مع أخيه شيركوه له السفن والمعابر ومساعدته حتى عبر نهر دجلة نحو بلاده فحفظ ودهما ومعروفهما وبالغ في إكرامهم[13] فلما فتح زنكي مدينة بعلبك جعل نجم الدين أيوب والياً عليها ومعه ابنه صلاح الدين الذي أمضي أغلب طفولته في مدينة بعلبك وظل أيوب واليها حتى توفي زنكي سنة 541 هـ/1146م.[14]

وكما رأينا أن صلاح الدين خاض مع عمه أسد الدين شيركوه كل حملاته إلى مصر حتى أصبحوا نهاية المطاف من وزراء مصر وسلاطينها، ومن زاوية أخرى وبعد أن غلب المرض على شيركوه وتوفى بعلة الخوانيق لكثرة أكله اللحوم الغليظة سنه(564هـ/1169م) وتولى ابن أخيه صلاح الدين الوزارة من بعده فكان رجلاً شديد الذكاء ومغواراً ومعطاءً، وفي سنه 565هـ/1170م أرسل إلى نورالدين محمود في دمشق بطلب أبيه الملك الأفضل نجم الدين أيوب ليرسله لمصر، فلبّى نور الدين طلبه وجهّز نجم الدين وأرسله معظماً مبجلاً سير معه عسكراً وتجاراً[15] فما كاد نجم الدين يصل إلى الديار المصرية حتى خرج ابنه السلطان صلاح الدين بجميع أمراء مصر إضافة للخليفة العاضد[16] لملاقاته على خلاف عادة الخلفاء الذي لم يخرجوا قط للقاء أحد قبل ذلك وعندما التقوا به بالغوا في إكرامه واستقباله.

وبعد أن انتهى من أمور الاستقبال ومراسيمه سلك صلاح الدين مسلك الأدب مع أبيه عندما خاطبه بأمر الوزارة وإنها تحت تصرفه وتدبير أمور مصر مسؤوليته، لكن نجم الدين رفض قبوله السلطة في مصر، رغم خبرته السياسية الطويلة وقدرته على حكم مصر مبرراً ذلك بأن الله اختار ولده لهذا الأمر لأنه أهل لذلك، وهذا التصرف يعني أن صلاح الدين عين نفسه وزيراً وأميراً متجاهلا تعين الخليفة العاضد ونور الدين كونه نائبه على مصر وينظر لمصر أنها ورثته ويحق له التحكم بأمورها، فأنزله صلاح الدين دار اللؤلؤة فجعل الخزائن بين يديه يتحكم بها يطلق منها ما يختار من غير الرجوع لصلاح الدين،[17] وهذه دلالة على أن نجم الدين كان يريد الملك لابنه وخروجه لمصر لربما كان

*** الموصل: قاعدة ديار ربيعة، على ضفة الغربية لنهر دجلة وتتصل بفروعه لتؤلف فرع واحدا. الحموي، معجم البلدان، مصدر سابق، ج5، ص223**

[13] أبي الفدا، المختصر، مصدر سابق، ج3، ص11، ابن واصل، مفرج الكروب، مصدر سابق، ج1، ص48، المقريزي، السلوك، مصدر سابق، ج1، ص143، المقريزي، اتعاظ الحنفا، مصدر سابق، ج3، ص306، ابن الأثير، الباهر، مصدر سابق، ص119، البدر العيني، عقد الجمان، مصدر سابق، ص126، أحمد الشامي، صلاح الدين والصليبيون تاريخ الدولة الأيوبية، مرجع سابق، ص75

[14] ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، مصدر سابق، ج6 ص4، ابن واصل، مفرج الكروب، مصدر سابق، ج1 ص8، البدر العيني، عقد الجمان، مصدر سابق، ص125، الشرق الأدنى في العصور الوسطى الأيوبيون، السيد الباز العريني، ص25

[15] ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، مصدر سابق، ج6 ص6، ابن واصل، مفرج الكروب، مصدر سابق، ج1، ص185، البدر العيني، عقد الجمان، مصدر سابق، ص40، 125، ابن شداد، النوادر السلطانية، مصدر سابق، ص26

[16] الخليفة العاضد: هو العاضد لدين الله أبو محمد عبد الله بن الأمير يوسف ابن الحافظ لدين الله أبي الميمون عبد المجيد، اختلف المؤرخون حول مولده بويع بالخلافة بعمر التسع سنوات بعد وفاة الفائز وتوفي في سنه 567هـ بعمر واحد وعشرين سنه حيث ظل في الخلافة مدة إحدى عشرة وخمسة أشهر ومن صفاته التي عرف بها كان كريما سمحا لطيفا لين الجانب يغلب عليه الخير لكنه كان مغالا بمذهبه شديدا على من يخالفه وأبرز صفاته الجسدية إنه أسمر اللون كبير العينيين غليظ الشفتين، المقريزي، اتعاظ الحنفا، مصدر سابق، ج3، ص241، 328

[17] ابن شداد، النوادر السلطانية، مصدر سابق، ص85، ابن واصل، مفرج الكروب، مصدر سابق، ج1، ص186، المقريزي، اتعاظ الحنفا، مصدر سابق، ج3، ص316، ابن واصل، التاريخ الصالحي، مصدر سابق، ج2، ص210، فايد حماد محمد عاشور، الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين في العصر الأيوبي، مرجع سابق، ص37

بدافع الوقوف لجانبه وإرشاده وفق خبرته، وتمكينه من السلطة قدر المستطاع، وهذا ما يفسر أن نجم الدين أيوب كان مرتاحاً لما وصل إليه ولده صلاح الدين وينظر بعين الفخر لما سيؤول عليه حال الأيوبيين خلال فترة ملكه من نهضة ورفعة واستقلال سياسي، وهكذا كان ما فعله شيركوه في مصر من قتال شاور والفرنج معا وتسلمه للوزارة فيها كان البداية التي أسست لقيام الدولة الأيوبية في مصر على يد صلاح الدين بعد أن يتم القضاء على الدولة الفاطمية نهائياً وإقصاء الدولة الزنكية عن السلطة في العراق والشام فيما بعد وخصها في البيت الأيوبي فقط.[18]

ولم يكن هذا الموقف الوحيد الذي دعم به نجم الدين ابنه صلاح في سلطته على مصر، بل سانده بأكثرَ من موقف محاولاً بذلك تمكينه من معرفة أصول الملك والتعامل معه، ونذكر على سبيل المثال لا الحصرِ عندما حدث فتور في علاقة صلاح الدين ونور الدين سنه(567هـ/ 1172م) سببها أن صلاح الدين يوسف بن أيوب سار عن مصر إلى بلاد الفرنج غازياً ونازل حصن الشوبك* تاركاً أباه نجم الدين في مصر لتدبير أمرها وتصريف شؤونها، ويذكر أنه كان بينه وبين الكرك* يوم واحد فحاصرها وضيق على مَن بها مِن الفرنج فطلبوا الأمان، فبلغ ما حصل لنور الدين الذي سار عن دمشق قاصداً حصن الكرك ليدخله من جهة وصلاح الدين من جهة أخرى.

فتم تحريض صلاح الدين من طرف حاشيته بأنه إن دخل نور الدين بلاد الفرنج وهم على هذا الحال الذي رسمه نور الدين فسيملكها ومتى زال حكم الفرنج عن الطريق وأخذ ملكهم لم يبق بديار مصر مقام مع نور الدين وإن جاء إليك فلا بد لك من الاجتماع به، وحينئذ يكون هو المتحكم فيك كيفما أراد إن شاء تركك وإن شاء عزلك فقد لا تقدر على الامتناع عليه، والمصلحة تحتم عليك الرجوع إلى مصر على الفور فعمل صلاح الدين بما شاروا عليه ورحل عن الشوبك عائداً إلى مصر ولم يأخذه من الفرنج بعد أن كان محاصرا له[19].

أما نور الدين فقد سار بعسكره من دمشقَ نحو الشوبك لكن صلاح الدين أرسل له بكتاب مع الفقيه عيسى الهكاري[20] يعتذر فيه عن عدم بقائه في حصار الكرك لأسباب سياسية[21] حيث بلّغه بأن بعض الشيعة الفاطميين عازمون على الهجوم واحتلال البلاد، وإنه يخاف عليها إن بعد عنها على أصحابه ولن تعود ممتنعة وإن أباه مريض لا يقوى على

---

[18] ارنست، باركر، الحروب الصليبية، تح السيد الباز العريني، دار النهضة العربية، بيروت، ط2، 1967، ص79

*** الشوبك: حصن شديد الحصانة بناه بلدوين الأول صاحب بيت المقدس الصليبي سنه (509هـ/1115م) جنوب البحر الميت في منطقة عالية ليسهل عليه مراقبة القوافل السالكة بين الشام ومصر ومهاجمتها وليتمكن من السيطرة على وادي عربه بالكامل. ياقوت الحموي، معجم البلدان، مصدر سابق، ج3، ص371**

*** الكرك: قلعة حصينة في طرف الشام من نواحي البلقاء في جبالها بين أيله وبحر القلزم وبيت المقدس وهي على جبل عالي، ياقوت الحموي معجم البلدان، مصدر سابق، ج4، ص514**

[19] البدر العيني، عقد الجمان، مصدر سابق، ص97

[20] الفقيه عيسى الهكاري: أبو محمد عيسى بن محمد بن عيسى الهكاري الملقب بضياء الدين اشتغل بداية أمره بالمدرسة الزجاجية بحلب ثم اتصل بالأمير أسد الدين شيركوه التي عينه إماما له وأتى معه إلى مصر وكان لعيسى الهكاري القول الفصل في تولية صلاح الدين الوزارة في مصر بعد موت شيركوه ولم يخرج عن رأيه فأصبح من ذلك الحين من أكبر أمراء الصلاحية ومستشاريه في مصر حيث كان فقيها وجنديا ومجاهدا يلبس زي الأجناد ويعتم عمامة الفقهاء فيجمع بين اللباسين حيث كان كبير القدر وافر الحزمة معولا عليه في الآراء والمشورات وأسره الفرنج وافتداه صلاح الدين بمال كثير توفى في 585هـ بالمخيم بمنزلة الخروبة قرب عكا ثم نقل إلى القدس ودفن بظاهرها ابن واصل، مفرج الكروب، مصدر سابق، ج1، ص162، ابن خلكان ، وفيات الأعيان، مصدر سابق، ج3، ص497، أحمد الشامي، صلاح الدين والصليبيون تاريخ الدولة الأيوبية، مرجع سابق، ص112

[21] ابن الاثير، الكامل، مصدر سابق، ج11، ص371، فايد حماد محمد عاشور، الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين في العصر الأيوبي، مرجع سابق، ص41

الاصطدام معهم، وأرسل معه من التّحف والمجوهرات والهدايا غني عن الوصف منها حمار وحشي وفيل فلم يقبل له نور الدين هذا العذرَ بدليل أنه فرق هدايا صلاح الدين فأرسل الفيل إلى ابن أخيه سيف الدين غازي صاحب الموصل* وأرسل الحمار الوحشي إلى الخليفة العباسي آنذاك إضافة لمجموعة هدايا ثمينة[22].

فعندما لم يمتثل صلاح الدين لأوامر نور الدين شق عليه ذلك وعظم عنده، وعزم على دخول مصر لعلمه من خوف صلاح الدين من القيام بهذا الفعل وإخراجه منها، لكن عندما بلغ الخبر لصلاح الدين جمع أهله وفيهم والده وخاله شهاب الدين الحارمي* بالإضافة لسائر الأمراء وأعلمهم ما بلغه من عزم نورالدين على قصده وأخذ مصر منه، واستشارهم فلم يجبه أحد منهم بشيء في البداية فقام ابن أخيه تقي الدين عمر*مخاطبة عمه إذا جاءنا قاتلناه وصددناه عن البلاد فوافق على ذلك الرأي أغلب أهله.

لكن نجم الدين بما يملكه من حكمة ورجاحة عقل أنكر عليهم هذا الرأي وشتمهم خوفاً على ابنه من أن يلحقه أذى نور الدين[23]، بعد ذلك أفضى المجلس مخاطبة من كان بالاجتماع قبل مغادرتهم قوموا عنا ونحن مماليك نور الدين محمود وعبيده يفعل بنا ما يشاء وكتب أكثرهم إلى نور الدين يطلعوه ما جرى في الاجتماع.[24] وهذا دليل على أن نور الدين لو لديه الرغبة في صرف صلاح الدين عن شؤون مصر له من القوة والشرعية ما يمكنه من فعل ذلك إلا أن نجم الدين عندما اختلى بولده و شهاب الدين لوحدهما محذراً ابنه من التهور وعدم الانصياع لرأي من قال بقتال نور الدين، قائلا له "أنا أبوك وهذا خالك و تظن أن هناك من يحبك أكثر منّا فإذا جدّ نور الدين في قتالك لا يمكننا إلا أن نترجل له

*** سيف الدين غازي: هو الابن الأكبر لعماد الدين زنكي ولد سنه 509هـ/1115م، خلف أباه بعد اغتياله بقلعة جعبر سنه541هـ/1146م على إمارة الموصل وما والاها من ديار ربيعة كان محبا للعلم خيرا صالحا شجاعا حيث بنى فيها المدرسة الأتابكية ووفقها على فقهاء الشافعية والحنفية بنى رباطا للصوفية أصيب بمرض حاد لم يك له علاج فتوفى بعمر ال 44عاما وكانت ولايته ثلاث سنوات وخلف ولدا توفى في شبابه فانقرض اسمه ليخلفه في إمارة الموصل أخوه قطب الدين مودود، ابن الأثير، الكامل، ج10، مصدر سابق ، ص233، أبو شامة ، الروضتين، ج2، مصدر سابق، ص161.**

[22] ابن الاثير، الكامل، مصدر سابق، ج 11، ص371، فايد حماد محمد عاشور، الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين في العصر الأيوبي، مرجع سابق، ص41

*** شهاب الدين محمود بن تكش الحارمي خال صلاح الدين وكان ضمن قافلة الأمراء النورية التي رافقت حملات شيركوه إلى مصر، كان يسعى لملك مصر بعد وفاة شيركوه لكن الفقيه عيسى الهكاري تمكن من حسم الجدل لصالح صلاح الدين يوسف، فتولى حكم حماه وقاوم الفرنج حتى وفاته سنه(573هـ/1178م) وحمل إلى حلب ودفن بها فأرسل صلاح الدين على الفور ابن أخيه تقي الدين عمر إلى حماه المقريزي، السلوك، مصدر سابق، ج1، ص176، التاريخ الصالحي، ابن واصل، مصدر سابق، ج2، ص222، فايد حماد محمد عاشور، الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين في العصر الأيوبي، مرجع سابق، ص74 الشرق الأدنى في العصور الوسطى الأيوبيون العريني، مرجع سابق، ص58**

*** تقي الدين عمر: هو الملك المظفر تقي الدين عمر بن نور الدولة شاهنشاه بن نجم الدين أيوب ين شادي بن مروان الكردي أكير أبناء شاهنشاه الذي كان الشقيق الوحيد من الأب والأم لصلاح الدين يوسف واختلف المؤرخون حول تاريخ مولده لكنهم أكدوا أنه ولد بعد ولادة صلاح الدين حوالي سنه (534هـ/1139م) برز كأحد أهم القادة الأيوبيين العسكريين في مصر والشام خلال وزارة صلاح الدين عليهما، نشأ على حب الأدب واللغة والقرآن والحديث لنبوي وتلقى تدريبا عسكريا على يد الأسرة ايوبية. محمد بن محمد الأصفهاني بن عماد الدين أبو حامد ت(356هـ)، البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان، تح محمد الطعاني، دار حمادة للدراسات الجامعية، الأردن، إربد، 2011، ص343، ابن خلكان، وفيات الأعيان، مصدر سابق، ج3، ص458.456، أبو شامة، الروضتين مصدر سابق، ج5، ص٢٩٠.**

[23] ابن الأثير، التاريخ الباهر، مصدر سابق، ص158

[24] ابن واصل، مفرج الكروب، مصدر سابق، ج1، ص223، المقريزي، السلوك، مصدر سابق، ج1، ص154، فايد حماد محمد عاشور، الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين في العصر الأيوبي، مرجع سابق، ص41

ونقبل الأرض بين يديه ولو أمرنا أن نضرب عنقك بالسيف لفعلنا فإذا كنا نحن هكذا كيف يكون غيرنا وكل من تراه من الأمراء والعساكر ممن يحرضونك على قتال نور الدين ولو رأوه وحده لن يتمكن أحدٌ منهم في الثبات على سرجه ولا وسعه إلا النزول وتقبيل الأرض بين يديه وهذه البلاد له وقد أقامك فيها وإن أراد عزلك فأي حاجة له للمجيء إليك يأمرك بكتاب حتى تقصده ويولي بلاده من يريد" [25].

ويبدو أن هذا ما كان يريده نجم الدين أن يصل إلى نور الدين كي يعدل عن فكره القدوم لمصر وليزيل الفتور بينه وبين ابنه صلاح الدين،[26] ولما أصبح نجم الدين مع ابنه بمفردهما وبّخه لتصرفه بالاجتماع مع أمرائه، وجموع أهله لأخذ رأيهم في مثل هكذا قضية وكشف ما في نفسه أمامهم، فلو سمع نور الدين ما جرى من آراء بمنعه من أخذ البلاد لجعلك أهم أموره وقضاياه ولو قصدك لن ترى معك أحداً من هذا العسكر وكانوا سلموك إليه، وأما الآن فبعدما سمعوا ذلك فسيكتبون إليه ويعرفونه قولي.[27] ولتوضيح ذلك تكتب أنت إليه، وترسل بمعنى ما قلته لك أمام الجميع إنه إذا أي حاجة لقصدي ترسل وتأخذني بحبل يضع في عنقي فإذا سمع هذا الكلام منك عدل عن قصدك وصرف النظر عنك والأيام تندرج وتزول هذه الغمه بينكما، ففعل صلاح الدين ما أشار عليه والده أن يفعله وبناء عليه عدل نور الدين عن قصده مصر وكان الأمر كما ظنه نجم الدين وتوفي نور الدين ولم يقصد مصر[28]فاستطاع قلب موازين النزاع التي كاد أن يقع في اللحظات الأخيرة بين ابنه ونور الدين فكان له دور فعال وبارز في إنقاذ ابنه من التورط مع نور الدين عندما نفده بحكمته وحلمه وصبره من نزاع محتمل.

ثالثاً: الدور الإيجابي لنجم الدين أيوب في شخصية صلاح الدين.

تعد نشأة صلاح الدين من أكثر الأمور التي اعتنى بها نجم الدين أيوب وهو تحت كنفه فكان لها تأثيرات إيجابية تمخضت عنها شخصيته الفذة القادرة على تخطى العقبات، وذكرنا أن صلاح الدين ولد في ظروف قاسية كان يمر فيها والده نجم الدين أيوب وأهمها خروجه المفاجئ من تكريت إلى الموصل لكنه جعل تربية ابنه من أهم أولوياته، وبعد أن فتح عماد الدين زنكي مدينة بعلبك وسلمها لنجم الدين أيوب وتقرر استقرارهم فيها وأمضى صلاح الدين أغلب طفولته في مدينة بعلبك[29] وأقام في خدمة والده يتربى تحت حجره ويأخذ محاسن أخلاقة حتى بدت منه إمارات السعادة ولاحت عليه لوائح التقدم والسيادة فشب على حبه لعقيدته الدينية وعرف عنه مواظبته على الصلاة الجماعية وفي أوقاتها المحددة.[30]

تأثر صلاح الدين بشكل كبير بوالده الذي عرف به من كونه قائداً عسكرياً وإدارياً له من المعرفة والخبرة شيء كثير، ملتزماً بتعاليم الدين الحنيف، فأثر بولده الذي أخذ عنه صفات الكرم والصبر والحلم والحكم ومن عمه أسد الدين شيركوه تعلم فنون القتال والحرب ليصبح في عنفوان شبابه من أفضل القادة العسكريين ممن لديهم بُعد استراتيجي

---

[25] ابن خلكان، وفيات الأعيان، مصدر سابق، ج7ص163 ابن الاثير، الكامل، مصدر سابق، ج11ص372، البدر العيني، عقد الجمان، مصدر سابق، ص98، وفاء محمد علي، قيام الدولة الأيوبية في مصر والشام، مرجع سابق، ص81

[26] ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، مصدر سابق، ج6 ص20، ابن شداد، النوادر السلطانية، مصدر سابق، ص266

[27] ابن الأثير، الكامل، مصدر سابق، ج11، ص372، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، مصدر سابق، ج6، ص19

[28] اليافعي، مرآه الجنان، مصدر سابق، ج3، ص286،

[29] ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، مصدر سابق، ج6 ص4، ابن واصل، مفرج الكروب، مصدر سابق، ج1 ص8، البدر العيني، عقد الجمان، مصدر سابق، ص125، الشرق الأدنى في العصور الوسطى الأيوبيون، السيد الباز العريني، ص25

[30] ابن شداد، النوادر السلطانية، مصدر سابق، ص6.

في معاركهم، وذكرته العديد من المصادر بأنه كان شديد المواظبة على الجهاد ضد أعداء الإسلام.[31] وبعد أن ملك نور الدين دمشق سنه(549هـ/1154م) لازمه نجم الدين ومعه ولده حيث بدت منه شجاعته وحكمه لا نظير لها عند أقرانه مما جعل الملك العادل نور الدين محمود يقربه منه ويقدمه عنده ويعول عليه ويخصصه لشؤونه، وكان الملك العادل نور الدين من المساهمين في إرساله لمصر خلال حملاته النورية عليها بالرغم من كره صلاح الدين لذلك[32]، وكانت من طباعه الحازمة بعد أن تولى الوزارة في مصر أنه لا يستمع لمنجم ولا يسمح لأحد من رعيته بذلك[33]، حتى إن مجالسه كانت خاليه من الهزل ولا يجتمع عنده إلا العلماء والفقهاء والشعراء وعرف بعدله بين الناس لدرجة أنه كان يجلس مرتين للعدل من كل أسبوع ليحكم بين الناس بالعدل، وناصر الضعيف على القوي وهذا يدل على حسن تربيته، وأخلاقه وقوّة إيمانه التي أفرزتها عائلته في سبيله[34] ليكون لوالده أكبر أثر في شخصيته المتوازنة التي عُرِف من خلالها، وكتب عنها المؤرخون.

الاستنتاجات والتوصيات:

1. يعد خروج نجم الدين أيوب وأسد الدين شيركوه من تكريت إلى الموصل نقطة تحول إيجابية مهمة انعكست على حياة الأسرة الأيوبية ككل فيما بعد، وعلت مكانتهم ليصبح لهم شأن كبير.

2. استقرار أمر الأيوبيين في الشام في عهد نور الدين محمود جعلهم يطمحون لتأسيس حكم خاص بالأسرة الأيوبية مستقلين فيه عن الدولة الزنكية.

3. تعد الفترة ما بين 559هـ/1163م و569هـ/1173م الفترة الذهبية لتنفيذ المشروع الذي طمح إليه الأيوبيون من نجم الدين وشيركوه من خلال حملاته على مصر حتى صلاح الدين والتأسيس لدولتهم على أرض مصر بعيداً عن الدولة الزنكية.

4. كان لوجود نجم الدين في مصر تأثير كبير في دعم ابنه صلاح الدين يوسف في منصبه وتشجيعه على بلورت المشروع الأيوبي للعلن على الأرض المصرية.

5. كما ذكرنا لم يك نجم الدين شخص عادي بل كان حكيما ذكيا فرغم رفضه تسلم مصر عندما عرضها عليه صلاح الدين، إلا أنه حكم مصر من خلال ابنه بدهائه وحسن سياسته، فكان ينوب عن ابنه في مصر كلما خرج صلاح الدين منها.

6. يعد العام التي توفي به نور الدين بالنسبة للأيوبيين عام استثنائي والانفراج السياسي في الاستيلاء على مصر وتأسيس دولتهم الخاصة.

---

[31] فايد حماد عاشور، الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين في العصر الأيوبي، مرجع سابق، ص21.

[32] حسن حبشي، نور الدين والصليبيون، مرجع سابق، ص126

[33] ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، مصدر سابق، ج6، ص9.8.

[34] صلاح الدين الأيوبي بطل حطين ومحرر القدس من الصليبيين، عبد الله علوان، دار السلام، ط1، 1975، ص95

قائمة المصادر:

1. أبي الفدا المؤيد عماد الدين إسماعيل بن علي المعروف (732.672هـ، 1331.1273م) المختصر في أخبار البشر، تح محمد زينهم . محمد عزب، دار المعارف، القاهرة، ج3، ط1، 1999
2. المقريزي تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي (ت 845هـ)، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والأثار المعروف بالخطط المقريزية، تح محمد زينهم . مديحة الشرقاوي، مكتلة مدبولي دار الأمين، القاهرة، ج2، ط1، 1998.
3. ابن واصل محمد سالم بن نصر الله بن سالم (ت 697.604هـ)، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تح جمال الدين الشيال، حسنين محمد ربيع، سعيد عبد الفتاح عاشور، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ج1، 1957.
4. ابن الأثير عز الدين أبو الحسن على بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الجزري الشيباني (ت630.555هـ/1232.1160م)، التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية بالموصل، تح عبد القادر طليمات، دار الكتب الحديثة، القاهرة، 1963.
5. بدر الدين محمود العيني (ت855هـ/1451م) عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان "العصر الأيوبي"، تح محمود رزق محمود، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ج1، ط2، 2010.
6. ابن واصل جمال الدين محمد ين سالم بن نصر الله بن سالم (ت 697.604هـ)، التاريخ الصالحي سيرة النبي(ص) والانبياء عليهم السلام والخلفاء والملوك وغيرهم يؤرخ من بدء الخلق حتى سنه 636هـ، تح عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية، بيروت، ج2، ط1، 2010.
7. الدواداري أبو بكر ابن عبد الله بن آيبك ، كنز الدرر وجامع الغرر الدر المطلوب في أخبار بني أيوب، تح سعيد عبد الفتاح عاشور، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ج7، 1972.
8. أبو شامة أبو القاسم شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي (ت599. 665هـ)، الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تح إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط1، ج1، 2002.
9. ابن خلكان أبو العباس شمس الدين أحمد ابن أحمد (608. 681هـ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ج2، 1968.
10. ابن عساكر علي بن الحسن بن هبة الله (571/499 هـ)، تاريخ دمشق، تح عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر، دمشق، ج7، 1995.
11. الذهبي أبي عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد ين عثمان بن قايماز (ت748.673)، سير أعلام النبلاء ج20، تح حسان عبد المنان، بيت الأفكار الدولية، 2004.
12. المقريزي تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي بن عبد القادر العبيدي (ت845هـ)، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، تح محمد حلمي محمد أحمد، مؤسسة الأهرام، القاهرة، ج3، 1996.
13. ابن القلانسي حمزة بن أسد بن علي بن محمد (ت555هـ/ 1160م)، تاريخ دمشق، تح سهيل ذكار، دار حسان، دمشق، 1983م.
14. ابن شداد أبو المحاسن بهاء الدين يوسف ت(632هـ/1234م)، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، مطبعة الأداب والمؤيد، مصر، 1317.

15. اليافعي أبي محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سلمان اليمنى المكي (ت 768هـ)، مرآه الجنان وعبرة اليقظان، تح خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، ج3، 1997.
16. الحنبلي مرعي بن يوسف الكرمي المقدسي المصري (ت1033هـ)، نزهة الناظرين في تاريخ من ولى مصر من الخلفاء والسلاطين، ت عبد الله محمد الكندري، دار النوادر، الكويت، ط1، 2012.
17. ابن الأثير عز الدين أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الجزري الشيباني (ت630هـ)، الكامل في التاريخ، تح أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، عمان، ج10.
18. ياقوت الحموي شهاب الدين أبي عبد الله بن عبد الله الرومي البغدادي(ت626هـ/1228م)، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ج2، 1997.
19. الأصفهاني محمد بن محمد بن عماد الدين أبو حامد ت(356هـ)، البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان، تح محمد الطعاني، دار حمادة للدراسات الجامعية، الأردن، إربد، 2011.
20. ابن تغري بردي(جمال الدين أبي المحاسن يوسف ت874.813)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تح محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ج6،ط1، 1992.

قائمة المراجع:

1. أحمد الشامي، صلاح الدين والصليبيون تاريخ الدولة الأيوبية، مكتبة النهضة، القاهرة، ط1، 1991م.
2. حسن حبشي، نور الدين والصليبيون، دار الفكر العربي، بعداد، 1948م.
3. فايد حماد محمد عاشور، الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين في العصر الأيوبي، دار الاعتصام، القاهرة، ط1، 1983م.
4. أمينة بيطار، تاريخ العصر الأيوبي، دار الفكر العربي، القاهرة.
5. صلاح الدين الأيوبي بطل حطين ومحرر القدس من الصليبيين، عبد الله علوان، دار السلام، ط1، 1975م.
6. وفاء محمد علي، قيام الدولة الأيوبية في مصر والشام، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1987م.
7. ارنست، باركر، الحروب الصليبية، تح السيد الباز العريني، دار النهضة العربية، بيروت، ط2، 1967

References:

.1Ahmed Al-Shami, Saladin and the Crusaders, History of the Ayyubid State, Al-Nahda Library, Cairo, 1st edition, 1991 AD.

.2Hassan Habashi, Nour al-Din and the Crusaders, Dar al-Fikr al-Arabi, Baadad, 1948 AD.

.3Fayed Hammad Muhammad Ashour, Islamic Jihad against the Crusaders in the Ayyubid Era, Dar Al-Itisam, Cairo, 1st edition, 1983 AD.

.4Amina Bitar, History of the Ayyubid Era, Dar Al-Fikr Al-Arabi, Cairo.

.5Salah al-Din al-Ayyubi, the hero of Hattin and the liberator of Jerusalem from the Crusaders, Abdullah Alwan, Dar al-Salam, 1st edition, 1975 AD.

.6Wafaa Muhammad Ali, The Establishment of the Ayyubid State in Egypt and the Levant, Dar Al-Fikr Al-Arabi, Cairo, 1st edition, 1987 AD.

-7Ernest, Parker, The Crusades, edited by Al-Sayyid Al-Baz Al-Arini, Dar Al-Nahda Al-Arabi, Beirut, 2nd edition, 1967.